التماسكُ النصيُّ بين القدماءِ والمحدثين
وعلاقتُه بعلم التفسير

إعـــداد

الباحثة/ رويدة حسين شحبل

باحثة دكتوراه بقسم اللغة العربية تخصص (لغويات)

جامعة الملك عبد العزيز بجدة

د. ابتهال محمد البار

أستاذ اللسانيات المشارك بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/١٠/٢٢م

تاريخ القبول: ٣٠/ ٢٠٢٣/١١م

ملخص:

تشكّلُ نظريةُ التّماسك النّصي أهميّةً كبيرةً في علم اللغةِ النّصي؛ إذ تُعنى بدراسة العلاقاتِ القائمةِ بين الجملِ المتواليـة، والكشـف عـن ترابطِهـا النّصـي، وأدواتـه الشكلية والدلاليـة. وقد ظهرتْ عنايـة القدماءِ بلُحمة النّص، من خلالِ تحليل المفسّرين النّصَّ القرآنـي، وتحليلِ النّحـاةِ دواوين الشّعراء. ممّـا يثيرُ التّساؤلَ عن أصلِ نشأة هذه النّظرية، وهل كانت لهـا جذورٌ ممتدةٌ فـي الـدرس العربـي القديم، أم أنها كانت وليدة الدراسات الغربية الحديثة. وقد حاولَ المحدثون العربُ الإفادةَ مِن نظريّاتِها وصـوْغها في الدّرْسِ العربي، إلا أنّ دراساتهم لم تتحرّر – في الغالب – من قيودِ النّظريةِ الغربيّة. ومن هنا تـأتي أهميّةُ هذا البحث؛ إذ يناقشُ نظريةَ التّماسك النّصي بين القدماءِ والمحدثين، ويبحثُ فـي علاقتِها بـأهمّ مظهرٍ من مظاهرِها عند القدماء، والتي تجلّتْ في علمِ التّفسير. وقد اقتضتْ طبيعةُ البحث أن يُقسَّمَ إلـى ثلاثـةِ مباحـث؛ فينـاقِش المبحـثُ الأولُ منهـا نظريّـةَ التّماسـكِ النّصـي بـين القـدماء والغـربيين، ويبـيّنُ المبحثُ الثاني التماسكَ النّصي عند المحدثين العرب، من خلال استعراض نماذجَ من دراساتِهم، وأمّـا المبحثُ الأخير؛ فيوضّحُ العلاقةَ بين التّماسك النّصـي وعلم التّفسير، بصفته العلمَ الذي يُعنـى بمعـاني الآيـات القرآنيّـة، ودلالاتهـا، مـن خـلالِ العلاقـاتِ الدّاخليّـة فـي النّص، ومناسباتها النّصـيّة، والسياقيّةِ المقاميّة.

الكلمات المفتاحيّة: التماسك، النّص، انسجام، التلاؤم.

Abstract:

The theory of textual cohesion is of great importance in textual linguistics. It is concerned with studying the relationships existing between successive sentences, revealing their textual interconnection, and its formal and semantic tools. The ancients' interest in the cohesion of the text appeared through the commentators' analysis of the Qur'anic text, and the grammarians' analysis of the poetry collections of poets. Which raises the question about the origin of this theory, and whether it had extended roots in ancient Arabic studies or was it the product of modern Western studies. Arab hadith scholars tried to benefit from its theories and formulate them in the Arabic study, but their studies were not freed - for the most part - from the restrictions of Western theory. Hence the importance of this research; It discusses the theory of textual cohesion between the ancients and moderns and examines its relationship to its most important aspect among the ancients, which was evident in the science of interpretation. The nature of the research required that it be divided into three sections: The first section discusses the theory of textual cohesion between the ancients and Westerners, and the second section shows textual cohesion among Arab modernists, by reviewing examples of their studies. As for the final section: It clarifies the relationship between textual cohesion and hermeneutics, as the science that is concerned with the meanings of Qur'anic verses and their connotations, through the internal relationships in the text, their textual and contextual occasions.

Keywords: Cohesion, Text, Coherence, adequacy.

مقدمة:

تمثّلُ نظريـةُ التّماسكِ النّصـيّ إحدى القضـايا المهمّـة التـي عُنـي بهـا علـمُ لغـةِ النّص، بوصفها معيارًا من معايير نصيّةِ الكلام، إذ تختصُّ بدراسةِ العلاقاتِ الشّكليّةِ والدّلاليّة بين عناصرِ النّص. وقد نشأتْ هذه النّظريّة في الدّراساتِ الغربية؛ نتيجةَ دعواتٍ متوالية نادَتْ بالانتقالِ من نحو الجملةِ إلى نحو النّص، كونه أكبر وحدةٍ لغويّة يمكنُ تحليلها.

وقد عُني القدماءُ بتماسكِ الكلامِ وترابطِ أجزائِه وعباراتِه، مِن خلالِ دراسةِ العلاقاتِ القائمةِ بين عناصرِ الجملة، وتحليلِ مكوّناتِها التركيبيّة، وما يكونُ بينها مِن ارتباط، فأَدركوا أهميّةَ لُحمةِ النَّص، ومراعاةِ انسجامِ الكلام، وقد برزَ ذلك واضحًا في تفسيرِ النّصّ القرآني، وتحليلِ دواوينِ الشّعراء. إلا أنّها لم تكنْ سوى إشاراتٍ متفرّقة، لا تكوّنُ نظريّةً منظّمة، أو علمًا مستقلا، كما هو الحالُ في اللسانيّاتِ الحديثة. وقد حاولَ المحدثون العربُ الإفادةَ من نظرياتِ الدّرا ساتِ الغربيّة، وتطبيقها على النُّصوص العربية، فبَرزَتْ دراساتٌ تنظيريّةٌ وتطبيقيَّةٌ عربيَّةٌ في التّرابطِ النّصي وأشكاله، وصورِ التّماسكِ وأدواتِه الشّكليّة والدّلاليّة؛ غير أنّها لم تتحرّر من قيود النّظريّةِ الغربيّة.

ومن هنا تظهرُ أهميّةُ هذا الموضوع، إذ يبيّنُ طبيعةَ التّماسكِ النّصي عند القدماء والمحدثين، ويوضح ارتباطها بعلم التفسير، كونه يرتكزُ على النّظرِ في مناسبات السّور والآيات، ويبحثُ في علاقاتها بالسّياقِ النّصي، وتفسير معانيه، والرّبطِ بين دلالاته من خلالِ تحليل الأدوات الرّابطةِ بين جمله ونصوصه.

وقد تضمّن هذا البحثُ ثلاثةَ مباحث:

المبحث الأول: التماسك النّصي بين القدماء والغربيين.

المبحث الثاني: التماسك النصي عند المحدثين العرب.

المبحث الثالث: علاقة التماسك النّصي بعلم التّفسير.

المبحث الأول: التماسكُ النصيُ بين القدماء والغربيين

١- التماسكُ النّصيُّ عند القدماء:

إنَّ النّاظرَ في كُتبِ التّراثِ يلحظُ أنَّ الحديثَ عن ترابطِ الكلامِ ووحدةِ بنائِه عند القدماء، قد اقترنَ بمصطلحاتٍ أخرى متعدّدة، منها: التّرابط"، "النّظم"، "التّلاؤم"، "التّلاحُم"، "التّلازم"، "التّناسُب"، و "الاتّساق". وإنَّ المتتبّعَ لهذه المصطلحاتِ يجدُ أنّها قد انحصرتْ في كُتبِ النّحو، والبلاغة، والتّفسير، والشّروح. كما يلحظُ أنّها، وإنْ تعدّدتْ مسمّياتُها، فإنَّ دلالاتها اللّغويةَ تَصُبُّ في أصلٍ واحد، يدورُ حول التّماسكِ والتّرابطِ بين أجزاءِ الكلام؛[١] ممّا يدلُّ على امتدادِ جُذورِه في التّراثِ العربيّ القديم، إذ دفعَهم النَّصُّ القرآنيُّ إلى الوقوفِ على أسرارِ بلاغتِه وإعجازِ بيانِه وتراكيبه، فأَدركَ العربُ أهميّةَ لُحمةِ النَّص، وارتباطِ أوّلِهِ بآخره، وإنْ غابَ عنهم مصطلحُ "التّماسك" ولم يُنَظِّروا له؛ إلا أنَّ اهتمامَهم بتجويدِ العبارة، وحُسْنِ النّظمِ والتّأليف، ومراعاةِ انسجامِ الكلامِ يدلُّ على أنَّ قضيَّةَ التّماسكِ كانتْ حاضرةً في أذهانِهم.

وقد تَجلَّى ذلك بوضوحٍ عند المفسّرينَ والبلاغيين والنّحويين في مظاهرَ كثيرة، تختلفُ بحسَبِ اختلافِ طبيعةِ العلْمِ الذي هو محلُّ دراستِها، فعندَ المفسّرين برزتِ العنايةُ بترابطِ النّصّ القرآني، مِن خلالِ اهتمامِهم بتفسيرِ الضمائرِ ومرجعيّتِها؛ للكشفِ عن مقصودِ الخطابِ الإلهي. فعُنِيَ **الزّركشيُّ**[٢] (ت: ٧٩٤هـ) في كتابِه "البرهانُ في علومِ القرآن" ببيانِ مرجعيّةِ الضّمير، وتوضيحِ السّابقِ منها واللاحق؛ ممّا يُشيرُ إلى أنَّ الزّركشيَّ قد تنبّهَ لعنصرٍ مهمّ من عناصرِ التماسكِ في علمِ النّصّ الحديث، وهو ما يُسمّى "الإحالة"، وأدرَكَ أهميّتَها في تحقيقِ التّرابطِ الذي تُحدِثُهُ بينَ آيِ القرآنِ الكريم، وتلاؤمِ ألفاظِهِ، واتّساقِ معانيه، وانتظامِ مبانيه.

كما برزتْ عنايةُ المفسّرين بالتّرابطِ النّصيّ، من خلالِ اهتمامِهم بعلمِ المناسبةِ الذي يكشفُ عن وحدةِ النّص، ويبيّنُ تناسبَ موضوعاتِه ومعانيه، ويُسْهِمُ في تحقيقِ التّماسك؛ لما له مِن أهميّةٍ كبيرةٍ في تقويةِ الرّوابطِ اللفظيّةِ والمعنويّة، وجعْلِ الكلامِ

مُحْكم التأليف، متلائم الأجزاء. ويُعَدُّ كتابُ **البقاعيّ**[٣] (ت: ٨٨٥هـ) "نظمُ الدّررِ في تناسبِ الآياتِ والسّور". وكتابُ **السيوطيّ**[٤] (ت: ٩١١هـ) "الإتقانُ في علومِ القرآن"، خير شاهدٍ على ذلك؛ إذْ عُنِيا بالرّوابطِ النّحويّةِ التي تحقّقُ التّماسكَ الشّكليَّ، وعُنِيا بالرّوابطِ المعنويّةِ التي تُحقّق التّماسكَ الدّلاليّ، وبحثا في تناسبِ المعاني، المعروف بعلمِ المناسبة، ويقومُ على إيجادِ العلاقاتِ والمناسباتِ التي تربطُ بينَ آيِ القرآنِ الكريمِ وأجزائِه في السّورةِ الواحدةِ، أو بينَ السّورِ المتتالية، أو بينَ السّورِ المتباعدة.

إنَّ كلَّ هذِه الإشاراتِ التي جاءتْ عندَ المفسّرينَ؛ تكشفُ عن إدراكهم العميقِ لمعنى التّماسكِ النّصي وأهميّته، مِن خلالِ استعمالِهم مصطلحاتٍ مرادفةٍ له، ومِن خلالِ تحليلاتِهم النّصيّة، التي تجاوزتْ بنيةَ الآيةِ الواحدةِ إلى بنيةِ النّصِّ القرآني.

وبَرزَت الصّلةُ شديدةً بينَ التماسكِ النّصيّ وعلومِ البلاغةِ بصورةٍ واضحة، مِن خلالِ عنايةِ البلاغيين بإعجازِ النّصِّ القرآني.[٥] ومِن خلالِ النّظرةِ الشّموليّةِ الكليّة، التي تبيّنُ وحدةَ النّصِّ وتماسكَ بنائه. وممّا يدلُّ على ذلك استعمالُهم مصطلحاتٍ وثيقةَ الصّلةِ بالتّماسك، مثل مصطلح "الالتحام" و "السّبك"، و "النّظم" و"التأليف"، و "الرّصف". فقد أشار **الجاحظُ**[٦] (ت: ٢٥٥هـ) إلى مصطلحَي "الالتحام" و "السّبك" في سياقِ حديثِهِ عن معيارِ الجودةِ في الشّعر، وذهب إلى أنّ الشّعرَ الجيّدَ هو ما بُنيَ على السّبك، وتلاحمِ الأجزاء، وترتيبِ الألفاظ، وربْطِ المعاني بعضها ببعض.

وتناولَ **أسامةُ بن منقذ** [٧] (ت: ٥٨٤هـ) في كتابه "البديع في نقد الشّعر" موضوعَ الفكّ والسّبك، وعَرّفَ "السّبك" بأنّه: "تعلُّقُ كلماتِ البيتِ بعضِها ببعضٍ مِن أوّلِه إلى آخرِه". وفي هذا إشارةٌ إلى معيارٍ مِن أهمّ المعاييرِ النّصيّةِ التي تحدّثَ عنها **"دي بوجراند" (De Beaugrande)** فيما بعد.[٨]

ومن يمعن النّظرَ في كتابِ "دلائل الإعجاز" **لعبد القاهرِ الجرجاني**[٩] (ت: ٤٧١هـ) يجد أنّه قد تطرّقَ إلى قواعدَ نصيّةٍ كثيرة، وأنّه استخدمَ مصطلحاتِ التّماسكِ ودلالاتِه بصورةٍ واضحة، فقد أشارَ إلى مصطلحِ "التلاؤم"، وتحدّثَ عن "الانسجام"،

وذَكرَ الوسائلَ التي يتحقّقُ بها، ومنها الوصْلُ والفصْل. والوصْلُ عنده هو معرفةُ مواضع استعمالِ عطفِ الجملِ بعضِها على بعض، وأمّا الفصْلُ فمعرفةُ مواضع ترْكِ حروفِ العطفِ بين الجمل. وضَرَبَ على ذلكَ أمثلةً كثيرةً في كتابِه، منها: ترْكُ العطفِ في **قولِهِ تعالى:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: ١٣. فلم تَرِدْ جملة: (أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ) بالعطفِ على ما قبلَها، لئلا تدخلَ في حكايتِهِم عن أنفسِهِم بأنّهم همُ السّفهاء؛ لأنَّ جملةَ: (أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ) مِن قولِهم، وجملةُ (أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ) مِن قولِ اللهِ تعالى، فلا يصحُّ هنا؛ لئلا يصير الكلامُ منهم عن أنفسِهِم بأنّهُم سفهاء، بعد أنْ زعموا أنَّهُم تخلّفوا عن الإيمانِ حتى لا يكونوا قومًا سفهاء.

ومِنْ أهمِّ ما قدّمهُ **الجرجانيُّ** [١٠] مِنْ إسهاماتٍ في الدّراساتِ النّصيّةِ، فكرةُ **"النّظم والتّعليق"**، وتطبيقُها على النّصِّ القرآني، إذْ رأى أنَّ النّظمَ مثلُ النّسيجِ والتّأليفِ والصياغة، وما أشبهَ ذلكَ ممّا يُوجِبُ ضمَّ الكلامِ بعضه إلى بعض، فلا تنتظمُ الألفاظُ عنده إلا بما يتناسبُ مع المعاني ويلائمُها، ولا تتّسقُ حتى يعلقَ بعضُها ببعض، وتكونَ إحداها سببًا للأخرى، كأن تجعلَ الاسمَ فاعلا للفعل. وفي هذا إشارةٌ إلى علاقةِ السّببيّةِ التي هي مِن علاقاتِ التّماسكِ النّصي. [١١]

وإلى جانبِ النّصِّ القرآنيّ؛ ظَهرَتْ ملامحُ التّماسكِ النّصيّ بيّنةً واضحةً في شروحِ الدّواوينِ والقصائدِ الشّعريّة، فعُنِيَ النُّقّادُ والأدباءُ بالوحدةِ الموضوعيّةِ للقصيدة، وتناسُبِ أجزائِها، وربْطِ مطلعِها بآخِرِها، فأشارَ **ابنُ طباطبا** [١٢] **(ت: ٣٢٢هـ)** في كتابِه "عيارُ الشّعر"، إلى أنَّ أحسنَ الشّعرِ في نظرِه هو ما يتّسقُ أوّلُهُ بآخره، فيُحْسِنُ صاحبُه التّخلُّص، أي الانتقال مِنْ غَرضٍ إلى غرض، ومِن فكرةٍ إلى أخرى، بالرّبطِ والتأليفِ بينَ المعاني دون انفصال. كما أنّه شبّه القصيدةَ بالرّسالةِ في أجزائِها، ومِن هذا المنطلقِ أوجب الرّبطَ بينَ أجزاء القصيدةِ ربطًا يتشكّلُ بهِ الانسجامُ بينَ مطلعِها وآخرِها، وبين أجزائِها.

ومِن مظاهرِ التّماسكِ عندَ النّحويين نظرتُهُم العميقةُ في عناصرِ الجملة، ودراسةُ تراكيبِها ومكوّناتِها، والوقوفُ على علاقاتِ الألفاظِ بعضِها ببعض، والعنايةُ بأدواتِ الرّبطِ التي تربطُ الجملةَ بالجملة، والكلمةَ بالكلمة، إذ انطلقوا في دراستِهِم للنّصّ القرآنيّ مِنَ الآيةِ الواحدةِ إلى السّورةِ الكاملة، فأدركوا أهميّةَ الرّوابطِ اللفظيّةِ والمعنويّةِ بينَ عناصرِ الجمل، والتي تتمثّل في تشكيلِ البنيةِ النّصيّةِ الكبرى للنّصّ القرآني.

إنَّ هذا الإدراكَ العميقَ لأهميّةِ تماسكِ الجملِ وترابطِها، هو ما جعلَ **سيبويه**[١٣] (ت: ١٨٠هـ) يلتفتُ إلى الإحالة، وإلى أهميّةِ وجودِ الضّميرِ الذي يُحيلُ على السّابق، وهو ما جعلَه يلحظُ علاقةَ الإسنادِ التي تنشأُ نتيجةَ تضامِّ كلمتين: المسندُ والمسنَدُ إليه، وهما المبتدأُ والخبر، والفعلُ والفاعل، وضرورةُ التّلازمِ بينهما، وهو ما يُسمّيهِ علماءُ النّصّ " الرّبطُ الدلالي"، أو "الحبك"، أو "الالتحام". [١٤]

وأسّسَ **ابنُ هشام**[١٥] (ت: ٧٦١هـ) منهجًا متكاملا في أنظمةِ الرّبطِ بالضمائر، وبيَّنَ علاقاتها بالمرجعيّةِ القبليّةِ والبعديّة، ووضّحَ مواضعَ الارتباطِ فيها، وتنبّهَ إلى وظيفتِها النّصيّة، وتحدّثَ عن عودِ الضّميرِ على المتأخّرِ لفظًا ورُتبة، وهو ما سُمّيَ بمصطلح (الإحالة أو المرجعيّة اللاحقة) في علمِ النّص.

كلُّ ذلكَ يدلُّ على أنَّ النُّحاةَ كانَ لهم دورٌ في وضْعِ لبناتٍ مهمّةٍ مِنْ لبناتِ الدّراساتِ النّصيّة، خصوصًا فيما يخصُّ عناصرَ الجملة، والرّوابطَ اللّفظيةَ والمعنوية، وإنْ كانَ تركيزُهم منصبًّا على الجملة؛ فالجملةُ هي بنيةُ النّصِ الأوليّة، التي تنشأُ منها الوحدةُ النّصيّةُ الكبرى.

٢- التّماسكُ النّصيُّ عند الغربيين:

مِن المعلومِ أنَّ الدّراساتِ اللّسانيّةِ في بدايةِ عهدِها انحصرَتْ في دراسةِ الجملةِ الواحدة، وظلّتْ عاجزةً عن البحثِ فيما يتخطّى هذه البنية الصغرى مِن الكلام، ونظرَ

"**دي سوسير**" **(De saussure)** إلى الجملةِ على أنّها أكبرُ وحدةٍ يمكنُ أنْ تتناولَه الدّراسةُ اللّسانية، ثُمَّ تتابعتِ الدّعواتُ التي نادتْ بضرورةِ تجاوزِ دراسةِ الجملةِ الواحدة، وتوالتِ المحاولاتُ التي لفتتِ الأنظارَ إلى ضرورةِ البحثِ في بنيةٍ أكبر مِن بنيةِ الجملة؛ إذ لم تَعدْ قادرةً على تحليلِ جميعِ الأبنيةِ اللغويّة. إلى أن بدأتْ تظهرُ بواكيرُ لسانياتِ النّص، وتتوالدُ معه دراساتٌ تسعى إلى الكشفِ عن العلائقِ التي تضمُّ الجملَ بعضَها إلى بعض، وتحاولُ وضعَ ضوابطَ وقواعدَ تحكمُها، إلى أنْ كوَّنتْ نظريّةً مستقلّةً تحتَ ما يُسمّى بنظريةِ "التّماسك النّصي".

وعندَ إمعانِ النّظرِ، والبحثِ في تأريخِ هذهِ النّظريةِ التي هي واحدةٌ مِنْ أهمّ نظريّاتِ لسانيّاتِ النّصّ؛ تجدُ أنّ بدايتَها أخذَتْ في الظّهورِ بالتّزامنِ مع بعضِ المحاولاتِ التي نادَتْ بالتّحوّلِ مِن نحوِ الجملةِ إلى نحوِ النّص. ففي بدايةِ النّصفِ الثاني مِن القرنِ العشرين، نشَرَ العالمُ الأمريكيُّ "**زيليج هاريس**" **(Zellig Harris)** (١٩٥٢م)، دراستين في كتابِه "تحليل الخطاب"، وذهبَ إلى أنَّ اللغةَ لا تتشكّلُ مِنْ كلماتٍ مجرّدة، أو جمل مفردة، بل هي نصٌّ متتابعٌ مِن الجمل، وحثَّ على دراسةِ العلاقاتِ بينَ الجملِ النّحوية، وحاولَ إيجادَ وسيلةٍ لاكتشافِ وحدةٍ تحليليّةٍ أكبر مِن مستوى الجملة؛ ونظَرَ إلى النُّصوصِ مِنْ جانبين: الرّبطُ بين اللُّغةِ والموقفِ الاجتماعيّ، وتوزيعُ العناصرِ اللّغويةِ بين الجملِ وفقًا للسّياق. [١٦] وقد كانتْ محاولةُ "**هاريس**"**(Harris)** هذه إحدى المحاولات الجادّة التي سَعَتْ إلى تحديدِ العلاقاتِ النّحويةِ بين سلسلةٍ متتابعةٍ مِن الجمل، وإيجادِ العلاقةِ التي تربطُ بين التّماسكِ النّصي والموقفِ الاتّصالي، وبهذا أُعتُبِرَ "**هاريس**"**(Harris)** أوّل مؤسّسٍ لعلمِ اللغةِ النّصيّ الحديث.[١٧]

كما شهدَ العامُ (١٩٦٨م) محاولةً حقيقيّةً لوضْعِ قواعدَ نحويّة تنظّمُ بناء النّص، فعمِلَتْ **رقيّةُ حسن** على صياغةِ قواعدَ أسمَتْها: "قواعدُ التّماسكِ النّحويّ في الإنجليزيّةِ المكتوبةِ والمنطوقة"، وهي تتعمّقُ في بنيةِ النّصّ للكشْفِ عن الاتّساقِ الدّاخليّ فيه،

وتساوي بينَ اللّغةِ المكتوبةِ والمنطوقة، فتُسمّيها نصًّا إذا كانَ لها طولٌ محدّد، ويمكنُ أن تؤلّفَ وحدةً متكاملة، وترى أنَّ مجموعةَ الجملِ التي تفتقرُ إلى التّرابطِ، تُعَدُّ سليمةً نحويًا؛ لكنّها لا يمكنُ أنْ تُوصَفَ بالنّصيّةِ؛ لأنّها لا يتعلّقُ بعضُها ببعض. وبهذا تكونُ **رقيّة حسن** قد قرّرتْ حقيقةَ الارتباطِ بينَ الجملِ المكوّنةِ للنّص، وأنَّ السّياقَ هو الذي يُنبِئُ عن دلالةِ الجملِ على الشيء؛ إذا ضُمَّتْ مجموعةٌ مِنَ الجملِ بعضُها إلى بعض، أمّا القواعدُ النّحويّةُ فتؤدّي إلى خَلْقِ الائتلافِ والتّناسقِ بينَ عناصِرِها، فيتحقّقُ بها التّماسك.(١٨)

الجديرُ بالذّكرِ أنَّ كلَّ تلكَ المحاولاتِ لم تكن سوى مجرّد إلماحات بسيطة، واقتراحات متفرّقة، لم يتمخّضْ عنها تنظيرٌ مستقلٌّ لنظريةِ التّماسكِ في نحوِ النّص، إلى أنْ جاء عامُ (١٩٧٢م) الذي يُعَدُّ بحقّ بدايةً جديدةً لمرحلةٍ مهمّةٍ مِن مراحلِ الانتقالِ إلى نحوِ النّصّ؛ إذْ بدأتِ الانتقاداتُ تُوجَّهُ للأسسِ التي بُنِيَ عليها نحوُ الجملة، وتقترحُ أفكارا جديدة. (١٩)

ويرى **البطاشي** (٢٠) أنَّ الدّراسةَ النّصيّةَ ظلّتْ مجرّدَ انتقاداتٍ واعتراضات، إلى أنْ ظهرَ كتابُ "الاتّساق في اللغة الإنجليزيّة" (١٩٧٦م)، **لـ "هاليداي"(Halliday) و "رقية حسن"**، الذي بُنِيَ على فكرةٍ مهمّةٍ تهدفُ إلى تحقيقِ الاتّساقِ في النّص، أي الكيفية التي يتماسكُ بها النّص، والبحث في الوسائلِ التي تُحقّقُ الاتّساقَ والتّماسك، وفي الوقتِ ذاتِهِ البحث في الخصائصِ التي تميّزُ النّصَّ ممّا ليسَ نصًّا، وخلُصَ الباحثانِ إلى أنَّ الاتّساقَ يُعَدُّ شرطًا أساسيًّا في نصيّةِ الكلام. ويُعَدُّ كتابهما هذا أوّل كتابٍ يتحدّثُ عن الاتّساقِ والانسجامِ بصورةٍ صريحة، ويتألّفُ مِنْ مدخلٍ وسبعةِ فصول، خُصِّصَ المدخلُ لدراسةِ بعضِ المفاهيم، مثل النّص، والنّصيّة، والاتّساق، وغيرها من المفاهيم الأخرى. وخُصِّصَتْ ستّةُ فصولٍ للحديثِ عن مظاهرِ الاتّساقِ الآتية: الإحالةُ والاستبدال، والحذف، والوصل، والاتّساقُ المعجمي، وخُتِمَ الفصلُ الأخيرُ بدراسةٍ تطبيقيّةٍ في تحليلِ بعضِ النّصوص.(٢١)

وقد أفادَ "**فان دايك**" (**VanDyke**) من جميعِ تلكَ الملاحظاتِ المتفرّقةِ، التي لم تُصَغْ بطريقةٍ منهجيّة، فجاءَ كتابُه الثاني "النّص والسّياق" (١٩٧٧م) الذي تحدّثَ فيه عن موضوعِ اللسانياتِ بشكلٍ عام، وأكّدَ على أنَّ الوقوفَ عند حدودِ الجملةِ الواحدةِ لا يفي بغرضِ اللسانيات؛ لذلكَ يجبُ الانتقالُ إلى وحدةٍ أكبر منَ الوحدةِ الصغرى المتمثّلة في الجملة؛ إذ إنَّ العلاقاتِ التّركيبيّةِ لا يمكنُ أن تتبيّنَ إلا مِن خلالِ وجودِ الجملةِ بجانبِ جملٍ أخر. (٢٢) وذهبَ "**دايك**"(**Dyke**) إلى أنَّ التّماسكَ لا يجبُ أنْ يقتصرَ على المستوى السطحي (الشّكلي)؛ بل يجبُ أن يشملَ المستوى العميقَ (الدلالي)، الذي يستدعي النّظرَ في العلاقاتِ بينَ التصوّراتِ، والمقارناتِ، والإحالاتِ في المتواليةِ النّصيّة. (٢٣) وأشارَ إلى ضرورةِ النّظرِ في الأبعادِ السّياقيّةِ عندَ تحليلِ النّصوص؛ إذ إنَّ السّياقاتِ التواصليّةِ (التداوليّة) هي المسؤولةُ عن تحديدِ مقاصدِ النّصوص، فالموقفُ السّياقيُّ هو الذي يحقّقُ انسجامَ النّص. (٢٤)

وعلى الرّغمِ منَ النّقدِ الذي وجّههُ "**دايك**"(**Dyke**) لنحوِ الجملة، بعدمِ كفايتِهِ في رصدِ ظواهرَ تتجاوزُ حدودَ البنيةِ الصغرى؛ فإنَّ ذلك لا يعني التقليلَ مِنْ شأنه، أو التّشكيكَ في صحّتِه، لكنّ الانتقالَ مِن بنيةِ الجملةِ إلى بنيةِ النّصّ؛ يستوجبُ إدخالَ عناصرَ أخرى دلاليّةٍ وتداوليّةٍ إلى التحليل، ممّا يتطلّبُ تغييرَ إطارِ الجملةِ في التّحليلِ النّحويّ إلى إطارِ النّصّ الموسَّع؛ لعدمِ كفايةِ الأوّلِ في استيعابِ العناصرِ السّابقة، بعدَ أنْ كانَ هو الوحدةَ الأساسيّةَ في التّحليل. (٢٥)

وبهذا تكونُ الدّراسةُ اللّغويّةُ قد تجاوزتْ مستوى الجملةِ إلى مستوى النّصّ، الذي تشكّلتْ ملامحُه ومناهجُه في ثمانينات القرْن العشرين (١٩٨١م)، على يدِ "**روبرت دي بوجراند**"، و "**درسلر**" (**De Beaugrande & Dressler**)؛ اللّذَينِ عمِلا على صياغةِ قوانينَ ومعاييرَ سبعة، تجعلُ مِنَ النّصّ بناء متماسكًا، وليسَ مجرّدَ كلماتٍ مصفوفة، أو جملًا غيرَ مترابطة. **وهذهِ المعايير هي:**(٢٦)

١- **السّبك:** ويُقصَدُ بهِ الإجراءاتُ المستَعملةُ في الرّبطِ النّحويّ، بين العناصرِ التي تظهرُ بها في البنيةِ السّطحيّة، كبناءِ العباراتِ والجمل، واستعمالِ الضّمائر، والإحالة، والحذف، وغيرِها ممّا له صلةٌ بالرّبطِ بين العلاماتِ اللّغويّة.

٢- **الحبك:** ويُقصَدُ به الإجراءاتُ المستَعمَلةُ في إيجادِ الرّبطِ الدّلالي، وتشملُ المفاهيمَ والعلاقات، مثل العلاقة المنطقيّة، كالسّببيّة، والعمومِ والخصوص.

٣- **القصديّة:** وتعبّرُ عن هدفِ النّص، وتتضمّنُ قصدَ منتِجِ النّصّ بأنْ يتوافرَ في النّصّ المعيارين السّابقين؛ السّبكُ وهو التّرابطُ الشّكليّ، والحبكُ وهو التّرابطُ الدّلالي.

٤- **التقبليّة:** وتتّصلُ بموقفِ المتلقّي الّذي يُصدِرُ حكمَه على النّصّ بالقبول، باعتبارِه نصًّا متماسكًا ومترابطًا مِن الجانبَين: النّحوي والدّلالي.

٥- **الإعلاميّة (الإخباريّة):** وهي العاملُ الّذي يُؤثّرُ في الحكمِ على الوقائعِ النّصيّة.

٦- **الموقفيّة:** وتتضمّنُ العواملَ التي تجعلُ مِن النّصّ مرتبطًا بموقفٍ سائد، يمكنُ تذكُّره واسترجاعه.

٧- **التّناص:** ويتّصلُ بتداخلِ النّصّ معَ نصوصٍ أخرى متّصلة به، حدثَتْ وقائعُها في حدودِ تجربةٍ سابقة.

وتُعَدُّ هذه المعايير أساسًا لقواعدِ النّصيّة؛ إذ تُميّزُ النّصَّ مِن اللا نص، فلا يُحكَمُ على نصٍّ بنصيّته إلا إذا توافرتْ فيه هذه المعايير.

وفي (١٩٨٣م) طرحَ الباحثان "**يـول وبـراون**" **(Yule) & (Brown)** جملةً مِنَ العناصرِ المهمّةِ التي يمكنُ أنْ تُسهمَ في تحليلِ الخطاب، وفي بناءِ تماسكِ النّص، وأوضحا أنّ معالجةَ اللّغةِ تتأثّرُ بشكلٍ كبيرٍ بالعلومِ الأخرى، مثل: اللسانيات الاجتماعيّة، واللسانيات النّفسيّة. كما عُنِيَ الباحثان بالسّياقِ والوحدةِ الموضوعيّة، والتّرابطِ النّصي، ونبّهَ كُلٌّ منهما إلى أهميّةِ العمليّةِ التّواصليّةِ بين المرسِلِ والمستقبل،

فلم يُغفِلا دورَ المتكلّمِ والمتلقّي في انسجامِ الخطاب؛ إذ إنَّ المتلقّي عندَهما هو الحَكَمُ على انسجامِ الخطاب.(٢٧)

يتبيّنُ ممّا سبقَ أنَّ كلَّ محاولةٍ مِنَ المحاولاتِ، التي دَعَتْ إلى الخروجِ بالتّحليلِ عن البنيةِ الصغرى، المتمثّلةِ في الجملة، والانتقالِ به إلى البنيةِ الكبرى، المتمثّلةِ في النّص؛ كانَ لها سهمٌ في بناءِ نظريةٍ مستقلّةٍ للتّماسكِ النّصيّ، والتي لم تتشكَّل ملامحُها إلا بعد ظهورِ كتابِ "**هاليداي**"(Halliday) و"**رقية حسن**" كما ذُكِرَ آنفا.

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ كُلَّ دراسةٍ مِنَ الدّراساتِ السّابقة، ارتكزَتْ على محورٍ خاصّ، ميّزَها عن غيرِها مِن الدّراساتِ الأخرى. فدراسةُ "**هاليداي**"(Halliday) و "**رقية حسن**" ارتكزَت على الاتّساق، وجعلتْهُ الخاصيّةَ التي تميّزُ النّصَّ عن غيرِهِ ممّا ليس نصًّا، وقد عُنِيَا بجوانبِ الاتّساقِ الشّكليّةِ أكثر مِن الانسجامِ الدّلالي.

وأمّا "**فان دايك**"(VanDyke) فكانَ الهدفُ الأساسُ مِن وراء دراساتِه هو تأسيسُ لسانياتٍ نصيّة، تتخطّى وحدةَ الجملةِ الصغرى إلى وحدةِ النّصّ الكبرى، وتُعنَى بمستوياتِه الدّلاليّة والتداوليّة، وقد أولى الانسجامَ الدّلاليَّ اهتمامًا كبيرا.

وركّزَ كلٌّ مِن "**دي بوجراند**" و "**درسلر**"(De Beaugrande & Dressler) على وضْعِ المعاييرِ النّصيّةِ التي يُشتَرَطُ توافرُها في النّصّ. في حين قامتْ دراسةُ "**براون**" و "**يول**"(Yule) & (Brown) على العمليّةِ التّواصليّةِ بينَ المرسِلِ والمتلقّي، وعُنِيَتْ بفهمِ الخطابِ مِنْ وجهةِ نظرِ المتلقّي (الجانب التداولي).

المبحث الثاني: التماسكُ النصيُ عندَ المحدثين العرب

مما ينبغي الالتفاتُ إليه قبل الشروع في الحديثِ عن قضية التماسك النصي عند المحدَثين العرب؛ ملاحظةُ اختلافِ المصطلحات مِن دراسة لأخرى؛ وذلك راجعٌ إلى التّرجمةِ والنَّقْلِ عن اللّسانيّات الغربيَّة. فمنهُم مَنْ أطلَقَ لفظَ (التّماسك) على مصطلح (Cohesione)، ومنهُم مَنْ أطلَقَ عليهِ لفظَ (الاتّساق) ولفظَ (السّبك). وأمّا مصطلح (Coherence) فمنهم مَنْ أطلقَ عليه لفظَ (الانسجام)، ومنهُم مَنْ سماه (الحبك).

وحتى تتّضحَ رؤيةُ المحدَثين العربِ في قضيّةِ التّماسكِ النّصيّ، وماهيتِه وطبيعتِه، يستعرِضُ هذا المبحثُ نماذجَ مِنَ الدّراساتِ العربيّةِ التي عُنِيَتْ بدراسةِ التّماسكِ النّصيّ في ظلِّ النّظرياتِ الغربيّة.

التّماسكُ النَّصيُّ عند محمد مفتاح:

يُعدُّ **مفتاح** من الباحثين الذين تناولوا تحليلَ النّصوصِ التراثيّةِ والحديثة، وقدّم عددًا من المفاهيمِ الإجرائيّةِ اعتمدَ عليها في تحليلِ النّصوص، مراعيًا خصوصيةَ كلِّ نص، واشتغلَ على المصطلحِ والمفهومِ كما اشتغلَ على التّحليل؛ إلا أنّه لم يحدّدْ مفهومًا محدّدًا للتّماسكِ النَّصيّ، ولم يبيّن ماهيتَه، وعدَّه مقولةً عامَّة، وأدرجَ تحته بعضَ المصطلحات؛ كالتّضيد، والتّنسيق، والانسجام، والتّشاكل، والتّرادف، ووزَّعَ أدواتِ التّماسكِ الشّكليّةِ والدّلاليّةِ عليها. فاستعملَ مصطلحَ التّضيدِ للدّلالةِ على أدواتِ الرّبطِ النّحويّةِ بينَ عناصرِ النّصّ الدّاخليّة، نحو: أدوات الاستثناء، وحروف التّعليل. وأدرجَ المنسّقاتِ اللّغويّةِ تحتَ التّنسيق، نحو: أنواعُ الإحالة، وأنواعُ الموصولات، والتّرابطاتُ المعجميّة، نحو: التّكرار، والتّرادف.

وذهب **مفتاح** إلى أنَّ الانسجامَ داخلَ النَّصّ لا يتحقّقُ مِنْ خلالِ اجتماع التّضيدِ والتّنسيق وحدهما (الروابطُ اللّفظيّةُ السّطحيّة)؛ ما لم تنضم إليهِما عناصر

أخرى تتصل بالمرسل، والمتلقّي، والظّروفِ المقاميةِ المحيطة بالنَّص (الرّوابطُ المعنويّةُ الدّلاليّة والتداوليّة)، وهو ما أدرجَهُ تحت مفهومِ (التّشاكل). (٢٨)

وقد جمعَ **مفتاح** في كتابِه (ديناميّةُ النّصِ: تنظيرًا وإنجازًا) بين التّنظيرِ والإجراء، وخصّصَ الفصلَ الأخيرَ منهُ للكشفِ عن الانسجامِ في النّصّ القرآني على جميعِ المستويات، وانطلَقَ مِنْ فرضيّةِ أنَّ النَّصَّ القرآنيَّ منسجمٌ في وحدتِه الموضوعيَّةِ والدّلاليّة. ومِنْ خلالِ النّظرةِ الكليَّةِ للنّصّ القرآني ذهبَ إلى أنَّ الآياتِ التي تدورُ حول موضوعٍ واحد، وإنْ تفرّقتْ في مواضعَ مختلفةٍ مِنَ القرآنِ الكريم، إلا أنَّها ترتكزُ على فكرةٍ واحدةٍ تنبثقُ منها؛ ولكن بتفصيلٍ أكثر، أو بتخصيصٍ، أو تقييدٍ، أو إكمالٍ في مواضعَ أخرى. (٢٩)

التّماسكُ النّصي عندَ خطابي:

أسّسَ **خطابي** دراستَهُ للتّماسكِ النَّصيّ في كتابِه "لسانيات النّص" على ما جاءَ مِنْ آراء في اللسانياتِ الغربيّةِ المعاصرة؛ باعتمادِه على آراءِ "**هاليداي**"(**Halliday**) و "**رقية حسن**" في كتابيهما "الاتّساقُ في الإنجليزيّة"، وكتابَي "**فان دايك**"(**VanDyke**)؛ "النّص والسّياق"، و "علم النّص"، وكتابِ "تحليل الخطاب" "**لبراون**" **و** "**يول**"(**Brown & Yule**). وبالرّغم من تغايرِ تلك الاتّجاهاتِ وتبايُنِ مدارسها؛ تمكّنَ من التوليفِ بينها لما يجمعُ بينها من وحدةِ الموضوعِ والهدف. (٣٠) ولم يمنعْهُ ذلكَ مِنَ التّأصيلِ للدّراساتِ التّراثيّةِ؛ وذهبَ مِن خلالِ ذلك إلى أنّ ما قدّمته الدّراساتُ العربيّةُ مِن إسهاماتٍ لا يقلُّ أهميّةً عمّا قدّمتْه الدّراساتُ الغربيّةُ الحديثة. (٣١)

ويرى **خطابي** أنَّ الخطابَ أو النّصَّ له وظيفتان؛ دلاليّةٌ وتداوليّة، الوظيفةُ الدّلاليّةُ تشملُ عناصرَ التّرابطِ والانسجام، والبنياتِ الكليّة؛ بينما تشملُ الوظيفةُ التداوليّةُ السّياقات، والأفعالَ الكلاميّة. وبهذا يكونُ قد أشارَ إلى أهميّةِ اعتمادِ النّصّ على روابطَ لغويّة، تُسهِمُ في تكوينِ وحدةٍ نصيّةٍ شاملة، وتحقّقُ انسجامَ النّصّ واتّساقه، وذلكَ معيارُ

النّصيّةِ الذي يتمثَّلُ في قوّةِ التّماسكِ بينَ أجزائِه. (٣٢)

وقـد اسـتعملَ **خطـابي** لفـظَ (الاتّسـاق) مقابـلَ مصـطلحَ (neoCohesi) فـي الإنجليزية، ولفظَ (الانسجام) مقابلَ مصطلحِ (Coherence)، وبيّنَ أنَّ المقصودَ بالاتّساقِ هو التّماسكُ الشّديدُ بينَ الأجزاءِ المشكِّلةِ لنصٍّ أو خطابٍ ما، ويهتمُّ فيه بالوسائلِ اللّغويـةِ والشّكليّةِ التـي تصـلُ بـينَ العناصـرِ المكوّنـةِ للـنّص. وبهـذا يكـونُ **خطـابي** قد استعرضَ النّظريّاتِ اللسانيّة، وقضيّةَ انسجامِ النّصّ واتّساقِه كما جاءتْ في اللسانياتِ الوصفيّة، ولسانياتِ الخطاب، محاولا التّفريقَ بينهما؛ منتهيًا إلى أنَّ الانسجامَ أعمُّ من الاتّساق، باعتبارِ أنَّ الاتساقَ يختصُّ بالترابطِ الشكليّ، والانسجامَ يختصُّ بالترابطِ المفهومي. (٣٣)

التماسكُ عند سعد مصلوح:

يُعَدُّ **مصلوح** مِنَ الذينَ بشّروا بنحوِ النّصّ قبلَ ظهورِهِ في أواخرِ الثَّمانيات، (٣٤) وبرزَتْ جهودُه في هذا الاتجاهِ مِن خلالِ أبحاثِه المتفرّقة، التي دعا فيها إلى ضرورةِ الانتقالِ مِن "نحو الجملة" إلى "نحو النّص"، وناقشَ المقولاتِ النّظريّة، وذهبَ إلى أنَّ "نحو الجملة" يخضعُ للمعياريّة، بينما يعتمدُ "نحو النّص" على دراسةِ العلاقاتِ بينَ أجزاءِ النّصّ بشكلٍ كلّي، وأكّدَ مِن خلالِ ذلك على أنَّ "نحو النّص" لا يرفضُ "نحو الجملة"؛ لكنّه يتجاوزُ حدودَه من الجملةِ الواحدةِ إلى سعةِ النّص. (٣٥)

كما ذهب **مصلوحُ** إلى أنَّ كثيرًا مِنَ الظّواهرِ اللغويةِ يمكنُ أنْ تُعالَجَ مِنْ خلالِ "نحو النّص"، وأنَّ كثيرًا ممّا وُصِفَ بالشّذوذِ في اللغة؛ يمكنُ أنْ يُفسَّرَ بدراسةِ العلاقاتِ القائمةِ بين الجملِ في سياقاتِها الثّقافيّةِ والمقامية، وتحليلِ الرّوابطِ اللغويةِ والدّلاليّةِ في نصٍّ متكاملٍ يُوصَفُ بالتّماسك.(٣٦)

وفرَّقَ مصلوحُ بينَ نوعينِ مِنَ التّماسك: (٣٧)

- **التماسكُ الشّكليُّ** المرادفُ لمصطلحِ (Cohesion)، وسمّاه (السّبك)، ويعني: "الوسائلُ

التي تتحقّقُ بها خاصيّةُ الاستمراريّةِ في ظاهرِ النّصّ". ويَقصدُ بظاهرِ النّصّ: ما يُنطَقُ به ويُسمَعُ ويُكتَبُ مِنْ أحداثٍ لغويةٍ تنتظمُ وفقَ القواعدِ النّحوية.

- **والتماسكُ الدّلاليُّ** المرادفُ لمصطلحِ (Coherence)، وسمّاهُ (الحبك)، وعرَّفه بأنّه: "الاستمراريّةُ المتحقّقةُ في عالمِ النّص"، ويَقصدُ بها الاستمراريّةَ الدّلاليّةَ التي تتّضحُ مِنْ خلالِ العلاقاتِ القائمةِ بينَ المفاهيم.

التماسك النّصي عند بحيري:

تناولَ **بحيري** أهمَّ القضايا في علمِ النَّص، وتوسّع فيها، واستعرضَ المفاهيمَ الأساسيّةَ للنّصّ والتعريفَ بها، فذهبَ إلى أنَّ النّصَّ يتكوّنُ مِنْ عناصرَ ترتبطُ فيما بينها بشبكةٍ من العلاقاتِ الداخليّةِ التي تؤدّي إلى تماسكِها وانسجامِها، وذلك مِنْ خلالِ الرّوابطِ التّركيبيّة، والرّوابطِ الزّمانيّة، والرّوابطِ الإحاليّة، وبهذا يكوّنُ النّصُّ بنيةً كليّةً ذاتَ وحدةٍ متماسكة. (٣٨)

وقد قدّمَ **بحيري** في كتابِهِ " علم اللغةِ النّصي" توصيفًا للنّظريّاتِ اللسانيّةِ النّصيّة، وتطرّقَ إلى مفاهيمَ نصيّةٍ تتّصلُ بضبطِ المصطلح، وطرقِ تماسكِه، وركّزَ في حديثِهِ على النّصِّ في مستوياتِهِ الأساسيّة، وهي: المستوى النّحوي، والمستوى الدّلالي، والمستوى التّداولي. وتحدّثَ عن أهمّ اتّجاهاتٍ رئيسةٍ في التحليلِ النّصيّ، وهي: (تجزئةُ النّصّ عند "**فاينريش**"(**H.Weinrich**)، ونحويّةُ النّصّ عند "**فان دايك**"(**VanDyke**)، والتّحليلُ التّوليدي عند "**بيتوفي**"(**Petofi**)، وذهبَ إلى أنّهُ مِنَ الضروري عندَ تحليلِ النّصِ تبنّي نظريةٍ كليّةٍ تندرجُ تحتَها نظرياتٌ فرعيّةٌ تشملُ كلَّ المستويات. كما أشارَ إلى نظريّةِ " السّياق الاتصالي" التي تؤكّدُ على أنَّ فهمَ النّصّ يتحقّقُ مِنْ خلالِ مستويين اثنين، هما: (٣٩)

أ- المكوّناتُ السّطحيّة: وتُمثّلُ علاماتٍ لغويّة، تربطُها علاقاتٌ نحويّةٌ لتشكيلِ المعنى.

ب- المكوّناتُ العميقة: وتُمثّلُ التّصوّراتِ التي تربطُها علاقاتٌ دلاليّة.

المبحث الثالث: علاقةُ التماسكِ النصيِّ بعلمِ التفسير

سبَقَتِ الإشارةُ بإيجازٍ إلى عنايةِ المفسّرين بقضيَّةِ التّماسكِ النَّصيّ، والتي ظهرَتْ مِنْ خلالِ تفسيرِهم لمعاني القرآنِ الكريم، والوقوفِ على بلاغةِ آيهِ وإعجازِ لفظِه، وتناسُبِ تراكيبِه ومعانيه، وتوظيفِهم كثيرًا مِنَ الآليّاتِ والأدوات؛ للكشْفِ عن مظاهرِ الانسجامِ النّصيّ في القرآنِ الكريم. وهذا كلُّه يوحي بأنَّ ثَمَّةَ علاقة وطيدة بين علمِ التّفسيرِ ونظريَّةِ التّماسكِ النَّصيّ.

وبالرّغم مِن اقتصارِ كثيرٍ مِنَ الدّراساتِ القديمةِ على نحوِ الجملة؛ فإنّ عددًا كبيرًا مِنَ المفسّرين أدركوا لُحْمَةَ النَّصّ القرآني؛ فجاءتْ تفسيراتُهم مقاربةً لنحوِ النَّص، ذلكَ أنَّهم نظروا إليهِ على أنَّه قطعةٌ واحدةٌ متماسكة، كالكلمةِ الواحدة، وتحدّثوا عن التّناسُبِ بين آياتِه وسُورِه، مِنْ خلالِ ما يُسمَّى عندهُم بعلمِ المناسبة، الذي يُعَدُّ أساسًا مهمًّا في تفسيرِ القرآنِ الكريم. ومن هنا يأتي الحديث عن معنى المناسبة، وأنواعِها، والوقوفِ على الآليَّاتِ والأدواتِ التي استعملَها المفسّرون في تفسيرِ وتحليلِ النَّصّ القرآني.

معنى المناسبة: المناسبةُ في اللُّغة تعني: المشاكلَةُ والمقاربة. (٤٠)

وفي الاصطلاح: "الرّابطةُ بينَ شيئين بأيّ وجهٍ مِنَ الوجوه، وفي كتابِ اللهِ تعني ارتباط السُّورةِ بما قبلها وما بعدَها، وفي الآياتِ تعني وجه الارتباطِ في كلِّ آيةٍ بما قبلها وما بعدها". (٤١)

وتتجلَّى الفائدةُ مِنْ علمِ المناسباتِ في الكشْفِ عن أوجهِ تعلُّقِ أجزاءِ الكلامِ بعضِه ببعض، فيقوى الارتباطُ بينَ عناصرِه، فيصيرُ الكلامُ متلاحمَ البناء. (٤٢)

ومِنْ أشهرِ المؤلَّفاتِ التي عُنيَتْ بعلمِ المناسبة: "البرهانُ في مناسبةِ ترتيبِ سورِ القرآن"، **لأبي جعفر الغرناطي** (ت: ٧٠٨هـ). ومِنْ أوسعِ المصنَّفاتِ فيهِ **للبقاعي** (ت: ٨٨٥هـ). كما ألَّفَ **السُّيوطيُّ** (ت: ٩١١هـ) فيهِ كتابًا أسماه "تناسُقُ الدّررِ في

تناسُبِ السّور". ومِنَ المفسّرين الّذين أولوا هذا الموضوعَ اهتمامًا كبيرًا **أبو حيّان الأندلسيّ** (ت: ٧٤٥هـ) في تفسيرِه "البحر المحيط"، **وفخر الدين الرازي** (ت: ٦٠٤هـ) في تفسيرِه "مفاتيح الغيب".

وقد جاء الحديثُ عن المناسبةِ عند المفسّرين؛ باعتبارِها وسيلةً مهمّةً مِنَ الوسائلِ التي يتحقّقُ بها انسجامُ النَّصِّ القرآني، وذلك بالبحثِ في الرّوابطِ اللّفظيَّةِ والمعنويَّة، التي تُؤلِّفُ بين آياتِ القرآنِ وسُورِه، في وحدةِ تماسكِه. (٤٣) وأشارَ **خطابي** في في كتابِه "لسانيات النَّص" إلى عنايةِ المفسّرين بانسجامِ النّصِّ القرآني، وإدراكِهم للعلاقاتِ الرّابطة بينَ أجزائِه، ومنها علاقةُ التّناسبِ بين الآياتِ والسُّور، وذكرَ أنَّ المفسّرَ يلجأُ إلى البحثِ عن المناسبة؛ حين تخفى الصّلةُ بين الآياتِ أو بين السُّور، وتبدو وكأنَّها منقطِعة العلاقةِ مستقلّة بذاتِها، كمجيءِ آيةٍ تحثُّ على الإنفاقِ مثلا عقِبَ آيةٍ تتحدَّثُ عن القتال، فيتبادرُ السّؤالُ هنا عنْ وجهِ العلاقةِ بين الآيتينِ والصِّلةِ بينهما، في حينِ أنَّهم لا يبحثونَ عنِ المناسبةِ عند وجودِ علاقةٍ شكليَّةٍ، أو دلاليَّةٍ ظاهرةٍ بين الآيات.(٤٤) وبما أنَّ المناسبةَ تبحثُ في العلاقاتِ الشّكليَّةِ والدّلاليَّةِ؛ فبعضُها يندرجُ تحت العلاقاتِ اللّفظيَّةِ (الشّكليَّة)، وبعضُها الآخرُ يندرجُ تحت العلاقاتِ المعنويَّةِ (الدّلاليَّة).

وذهبَ **ابنُ أبي الإصبع** (ت: ٦٥٤هـ) إلى أنَّ المناسبةَ تنقسمُ إلى قسمين: (٤٥)

- **مناسبةٌ لفظيَّة:** تتمثّلُ في انتقاءِ الألفاظِ المتزّنة، نحو قولُه تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾ سورة القلم، الآيات من ١: ٣.
- و**مناسبةٌ معنويَّة:** تتمثّلُ في تناسُبِ إتمامِ النَّصّ بالمعنى الذي بُدِئَ به، نحو قولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ سورة المائدة، الآية: ٣٨. فقدِ اقتَضتْ حكمتُه وعزّتُه

سبحانهُ وتعالى الحكمَ بقطعِ يدِ السّارق، واقتضى تنزيهُه عنِ النَّقصِ والظُّلمِ العدل، عزَّ سبحانهُ فحكَم، وحكمَ فعدل. وبهذا حصلَ التناسُبُ المعنويُّ في الآية؛ إذ خُتِمَتِ الآيةُ بما بُدِئَتْ به مِن معنى.

وذهبَ الزركشيُّ إلى أنَّ التّناسبَ بينَ الآياتِ نوعان: (٤٦)

- **النّوعُ الأوّلُ:** يكونُ بعطفِ الآيةِ على ما قبلها، فيكونُ بينهُما صلةٌ جامعة.
- **والنّوعُ الثّاني:** فيكونُ بعدمِ عطفِ الكلامِ على ما قبلَه، ممّا يوجِبُ الّلجوء إلى القرائنِ المعنويَّةِ؛ لمعرفةِ الصَّلةِ الجامعةِ بينهما وهي المناسبة، ليتّضحَ بذلك وجهُ الارتباط.

وإلى جانبِ هذا التّقسيمِ اُشتُرِطَ في تحقّقِ المناسبة؛ أنْ يكونَ الرَّبطُ بالمعنى متحقّقًا بين المتناسبَين، وهذا المعنى إمّا أن يكونَ معنًى عامًّا، أو خاصًّا، عقليًّا، أو حسّيًّا، أو خياليًّا، أو غيرَ ذلك مِنْ أنواعِ العلاقات، أو أن يكونَ المعنى ممّا فيه تلازمٌ ذهنيّ، كالسّببِ والمسبّب، والعلَّةِ والمعلول، والنّظيرينِ والضّدَين، ونحوِ ذلك. فالمعنى الرّابطُ هو ما ذكرَه النَّصيّون، وعَنوا به الاستمراريَّةَ الدّلاليَّةَ المتحقّقةَ في النَّصّ، مِنْ خلالِ العلاقاتِ بين المفاهيمِ المكوّنةِ له. (٤٧)

وبهذا يظهرُ ارتباطُ علمِ المناسبةِ بالتّماسكِ النَّصيّ، فالمناسبةُ تُفضي إلى العلاقة التي تربطُ بين المتناسبَين، فيفسّرُ أحدُهما الآخر، ويكونُ مرجعًا له، فيتحقّق بذلك التّماسكُ بينهما.

ويمكنُ القولُ بأنَّ علمَ المناسبةِ يُعَدُّ رافدًا مِنْ روافدِ التّفسير، ومظهرًا مهمّا مِنْ مظاهرِ التّماسكِ النَّصيّ في القرآنِ الكريم؛ ذلكَ أنَّه يكشفُ عن العلاقاتِ الرّابطةِ بين السّورِ والآيات. فالمناسبةُ إذن وسيلةٌ مهمّةٌ مِنَ الوسائلِ التي يتحقّقُ بها التّماسكُ النّصي: شكليًّا ودلاليًّا، وتُسهِمُ في التحليلِ النَّصي. (٤٨)

وتتعدّدُ أوجهُ "التّناسُبُ" في النَّصّ القرآنيّ، ومِنْ أبرزها: [٤٩] تناسب في الجمل، وتناسُبٌ في السُّور.

فمِنَ التناسُبِ في الجمل: تناسب بينَ آيةٍ وأخرى سابقة لها أو لاحقة، وتناسُب لفظي ومعنوي داخل الآيةِ الواحدة، وتناسُب الفواصل، والمطلعِ والمقطع.

ومِنَ التّناسُبِ في السّور: تناسُبٌ بين اسمِ السُّورةِ وموضوعِها وقصصِها، وتناسُبٌ بين سورةٍ وأخرى سابقةٍ أو لاحقة.

ومِنْ أمثلةِ ما أشارَ إليهِ المفسّرون في المناسبةِ بين فاتحةِ السورةِ وخاتمتِها، افتتاحُ سورةِ إبراهيم بقولِهِ تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ سورة إبراهيم، الآية الأولى. واختتامِها بقولِهِ تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ سورة إبراهيم، الآية: ٥٢.

أشارَ **أبو حيّان** عند تفسيرِهِ لهذه السّورةِ إلى مناسبة خاتمتها لما بُدِئَتْ به، إذ أُفتُتِحت السورةُ بذكْرِ الحكمةِ مِنْ إنزالِ القرآنِ الكريم، وهي إخراجُ النّاسِ مِن ظلماتِ الكفرِ إلى نورِ الإيمان، وختمت كذلك بالإشارة إلى القرآنِ الكريم، وإلى وظيفته الإبلاغيةِ في دعوةِ الناسِ وهدايتِهم إلى خالقِهم، مما يوحي بقوّةِ العلاقة الرابطة، ووحدةِ السورة وتماسكها، حتى قالَ بعضهم إنَّ قولَه **(**وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ**)** في آخرِ السّورةِ معطوفٌ على قوله **(**لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ**)** في أوّلِ السورة. [٥٠] وترى الباحثة أنّ ما نقله **أبو حيّان** عن بعضِ المفسّرين، من عطْفِ آخرِ السّورة بأوّلها؛ قد يكونُ المقصودُ به العطفَ في المعنى الدلالي، لا العطفَ من جهة التركيب النّحوي، وأنّ القولَ بذلك فيه شيءٌ من المبالغة.

ومن أمثلةِ ما أشاروا إليهِ في المناسبةِ بين خاتمةِ السّورةِ والسّورةِ المواليةِ لها، ما جاء في ختامِ سورةِ ص، وبدايةِ سورةِ الزّمر بعدها، فقد ختمَ سبحانه وتعالى الأولى

بقولهِ: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينٖ﴾ سورة ص، الآية: ٨٧، ٨٨. وافتتحَ الثّانيةَ بقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ سورة الزمر، الآية الأولى. فنصَّ جلَّ وعلا في نهايةِ سورةِ ص على أنَّ القرآنَ الكريمَ ذِكْرٌ وموعظةٌ للعالمين، ثمَّ جاءَ الكلامُ في بدايةِ سورةِ الزّمرِ بعدَها، بأنَّ القرآنَ تنزيلٌ مِنَ اللهِ سبحانهُ وتعالى. قالَ **السّيوطيُّ:**" فكأنَّهُ قيل: هذا الذّكْرُ تنزيل، وهذا تلاؤمٌ شديد، بحيثُ أنّه لو سقطَتِ البسملةُ لالتأمَتِ الآيتان كالآيةِ الواحدة". [٥١] وفي هذا دليلٌ على شدّةِ التّماسكِ بينَ الآيتين، وكأنَّهما جاءتا متّصلتينِ في سورةٍ واحدة؛ لكنّهما ليستا في سورةٍ واحدة، ويمكنُ حمْلُ ما ذكره السّيوطي على بعضِ القراءاتِ القرآنيّة؛ إذ إنّ بعضها يُجيزُ وصلَ السّورتين مع إسقاطِ البسملة. [٥٢]

كما تظهرُ العلاقةُ بينَ علمِ التّفسيرِ والتّماسكِ النّصيّ؛ مِنْ خلالِ النّظرةِ الكلّيّةِ التي تُبرِزُ العلاقاتِ القائمةِ بين مكوّناتِ النَّصّ، [٥٣] وتؤكّدُ وحدتَه الموضوعيّة، وهذا ما أدركه المفسّرون، فما أُجمِلَ في موضعٍ يُفصَّلُ في موضعٍ آخر، ومِنْ ذلك تفصيلُ سورِ القرآنِ لما أجملتْه سورةُ الفاتحة، إذ إنَّها أُفتُتِحَ بها القرآنُ الكريم، وبلاغتُه تقتضي أنْ تتضمّنَ سورُه ما بُدِئَ الكلامُ به. [٥٤] وفي هذا دليلٌ على إدراكِهم لمبدأِ تماسكِ النّصّ؛ ليس فقط على مستوى السّورةِ أو الآية، وإنّما أيضًا على مستوى القرآنِ كلّه. وهذا هو ما نصَّ عليهِ **محمد مفتاح** في كتابهِ "ديناميّة النّص" عند حديثِه عن انسجامِ النّصّ القرآني؛ إذ ذهبَ إلى أنَّ الآياتِ ذات وحدةٍ موضوعيّة، فبالرّغم مِنْ تفرّقِها في عدّةِ مواضعَ مِنَ القرآن؛ فإنّها تدورُ حول موضوعٍ واحد، فتأتي موجزةً في مواضعَ لِتُفسّرَ أو ليُفصَّلَ عنها الحديثُ في مواضعَ أخرى، وقد تأتي مجملةً في مواضعَ لتُخصَّصَ أو تُقيَّدَ فيما بعد. [٥٥]

ومن أمثلةِ تخصيصِ العام قولُه تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ...﴾ في سورة البقرة، آية: ٢٢٨. جاء تخصيصُها في مواضعَ أخرى من القرآنِ الكريم، فقد خُصّتْ بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ سورة

الطلاق، آية: ٤. وبقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ سورة الأحزاب، آية: ٤٩. إذ أفادت الآيةُ الأولى حكمًا عامًّا، وهو أنّ عدّةَ كلّ مطلقةٍ ثلاثُ حيضات؛ بينما أخرجتِ الآيةُ الثانيةُ الحواملَ من العموم، كما خُصَّ من هذا العمومِ المطلّقاتِ غيرِ المدخولِ بهن. (٥٦)

ومِنْ مظاهرِ علاقةِ التّفسيرِ بنظريَّةِ التّماسك؛ اهتمامُ المفسّرين بالرّوابطِ والعلاقاتِ المعنويَّةِ واللّفظيَّة. فمِنَ العلاقاتِ المعنويّة: (٥٧) البيانُ والتّفسير، والإجمالُ والتّفصيل، والعمومُ والخصوص، وغيرُها. ومِنَ العلاقاتِ اللّفظيَّة: (٥٨) الرّبطُ بالعطفِ والضّمائرِ، وأسماءِ الإشارةِ والموصولات، وغيرِها مِنَ الرّوابط. ومِنْ ذلك ما أشار إليه **القرطبيُّ** في تفسيرِه لسورةِ الإسراءِ في **قولِه تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِۗ. . .﴾ سورة الإسراء، الآية: ٣٩. أنّ هذه الآدابَ والقصصَ والأحكامَ هي التي تقدّمَ ذكْرُها في الآياتِ السّابقة، وهي التي نزلَ بها جبريلُ عليه السّلام. (٥٩) فهذا يدلُّ على إدراكِ **القرطبيّ** لأهميّةِ اسمِ الإشارة، ووظيفتِه الرّابطةِ لجملةٍ مِنَ الكلامِ قبله، وهو ما أسماه النّصيّون بالإحالةِ المرجعيّة.

كما عُنِيَ المفسّرون بالضمائر، وتفسيرِ عائدِها مِنْ خلالِ الوقوفِ على سياقِ الكلام، فمِنْ أبرزِ المواضعِ التي يُراعى السّياقُ فيها مسألة عودِ الضمير؛ إذ تتعدّدُ الآراءُ والوجوه، فيلجأُ المفسر عندئذٍ إلى سياق الكلامِ؛ ليحدّدَ أيُّها أرجحُ رأيًا في إحالةِ الضمير.

ومِنَ الأمثلةِ التي وردَ فيها الخلافُ في عائدِ الضمير **قولُه تعالى:** ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ . يوسف، الآية: ٥٣. فاختلفوا في الضميرِ الغائبِ (أنا)، هل هو راجعٌ إلى امرأةِ العزيز، أم راجعٌ إلى يوسفَ عليهِ السلام. وسياقُ الآياتِ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ٥٢ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥٣ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا

مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ سورة يوسف، الآية: ٥١: ٥٤. ذكرَ **ابنُ كثيرٍ** أنَّ عائدَ الضمير هو امرأةُ العزيزِ بحضرةِ الملك، وليسَ يوسف عليهِ السلام؛ كونُه لم يكن موجودًا في حضرةِ الملك، وإنّما أُحضِرَ بعد ذلك. (٦٠)

ومِنْ أدواتِ الإحالةِ كذلك الاسمُ الموصول، فيرتبطُ بمذكورٍ سابق، وقد يتكرّرُ فيُحدِثُ تماسكا نصيا. ومن أمثلةِ ذلك **قولُه تعالى:**

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ سورة الشعراء، الآيات: ٧٧: ٨٢.

ذهبَ **ابنُ عاشورٍ** إلى أنَّ الأظهرَ في الاسم الموصول (ٱلَّذِي)؛ أنّه نعتٌ لقولِه (رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ)، والضميرُ (هو) معطوفٌ على الصلة، وأشار إلى أنَّ تكرارَ الاسم الموصول في المواضع الثلاثةِ يفيدُ الاهتمامَ بصاحبها؛ إذ هو نعتٌ عظيمٌ للهِ (رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ)، المذكورِ في الآية السّابقة، فأحالَ عليه بالاسمِ الموصولِ إحالةً قبليّة. (٦١)

ويمكنُ القولُ بأنَّ العلاقةَ بينَ علمِ التفسيرِ والتّماسكِ تمثّلت في ثلاثةِ مظاهر:

المظهرُ الأوّل: تمثّلَ في علمِ المناسبةِ الذي يوضّحُ العلاقاتِ الرّابطةِ بينَ الآياتِ والسّور، ويكشفُ عن المرجعيّةِ بين المتناسبَين، ويبيّنُ التّماسكَ الكلّي بينَ عناصرِ النّص.

المظهرُ الثاني: تمثّلَ في النّظرةِ الشموليةِ للنّصّ القرآني، باعتبارِه نصًّا واحدا متماسكا، فنظرتُهم الكليّةُ إلى النّصّ القرآني، جعلتهُم يوسّعون دائرةَ البحثِ في العلاقات، من الجملِ إلى الفقراتِ، ثُمَّ إلى النّص، فتجاوزوا بذلك في تحليلِهم نحو الجملةِ إلى نحو النّص.

والمظهرُ الثّالث: تمثّلَ في البحثِ في العلاقاتِ الشّكليّةِ والدّلاليّة، الرّابطةِ بينَ تراكيبِ النّصّ القرآني، فوقفوا على كثيرٍ منَ العلاقاتِ النّصيّة التي أشارَ إليها النّصيون، نحو: الإحالة، والإشارة، والوصل، والتكرار، والحذف، وغيرها من العلاقاتِ الأخرى.

خاتمة

ناقشَ البحثُ عددًا من القضايا المهمّة، يمكن تلخيصُها في النقاطِ الآتية:

- إنَّ نظريّةَ التّماسكِ النّصيّ نشأتْ في حقْلِ علْمِ اللسانيّاتِ النّصيّة، وتطوّرَتْ بعدَ محاولاتٍ متعدّدة، وإرهاصاتٍ سابقة، وإنْ كانَ لها إلماحاتٌ عندَ القدماء؛ إلا أنّها كانتْ مجرّدَ إشارات، اقتَصرَتْ على تحليلِ نصوصِ القرآنِ الكريم، ودواوينِ الشعراء، فلم تكوّن نظريّةً منظمّة. وهذا لا يعني الإجحافَ بحقّهم، وإنكارَ ما قدّموا مِنْ جهودٍ وآراء؛ يمكنُ أنْ يُعَدُّ رافدًا مِن روافدِ التّماسكِ النّصي.
- إنَّ الدّراساتِ العربية التي عُنِيَتْ بنحوِ النّصّ، فيما يختصُّ بقضيةِ التماسكِ النّصيّ؛ على الرّغم من أنّها لم تخرجْ عن حدودِ اللسانياتِ الغربيّة؛ قدّمتْ دراساتٍ أبرزَتْ من خلالها إسهامات النّحويين والمفسّرين والبلاغيين، في قضيّةِ التّماسكِ النّصيّ، فقرنَتْ بينَ التراثِ العربيّ والدّرسِ الغربي، وجَمعتْ بين التنظيرِ والتّطبيق، محاولةً تأسيسَ نظريّةٍ نصيّةٍ عربية.
- إنَّ علمَ التفسيرِ وثيقُ الصّلةِ بنظريةِ التماسكِ النّصيّ، إذ إنّه يقصدُ إلى جانبِ بيانِ معاني الآياتِ ودلالاتِها؛ البحثُ في انسجامِ النّصّ القرآنيّ، وتماسكِ ألفاظِه ومعانيه. وذلك يرجعُ إلى إدراكِ المفسّرين ارتباط آياتِ القرآنِ بعضِها ببعض؛ ممّا دفعَهم إلى البحثِ في أنواعِ العلاقاتِ القائمةِ بين الآياتِ مِن جهة، وبين السّورِ من جهةٍ أخرى.

الحواشي

(١) يُنظَر: محمد فيصل، التماسك النّصي وعلاقته بالنّص القرآني، ٧ وما بعدها.

(٢) يُنظَر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣/ ١٥٠، ١٥١. ويُنظَر: الفقي، علم اللغة النّصي بين النّظريّة والتطبيق، ١/ ١٥٠.

(٣) يُنظَر: البقاعي، نظم الدّرر في تناسب السّور، ص ٦ وما بعدها.

(٤) يُنظَر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٥٩٣، ٦٣٠.

(٥) يُنظَر: عبد الراضي، نحو النّص بين الأصالة والحداثة، ١٤٩، ١٥٠.

(٦) يُنظَر: الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٦٧.

(٧) يُنظَر: أسامة بن منقذ، البديع في الشعر، ١٦٣.

(٨) يُنظَر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ١٠٣.

(٩) يُنظَر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٥٧، ٥٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣.

(١٠) يُنظَر: المرجع السابق، ٤٩، ٥٥.

(١١) يُنظَر: الفقي، ١/ ١٢٧.

(١٢) يُنظَر: ابن طباطبا، عيار الشعر، ١١، ١٢.

(١٣) يُنظَر: سيبويه، كتاب سيبويه، ١/ ٢٣، ٢٧٧. ويُنظَر: الفقي، ١/ ١٣٠.

(١٤) يُنظَر: عبد الرّاضي، ١٣٦، ١٣٧.

(١٥) يُنظَر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ٢/ ١٤٨. ويُنظَر: الفقي، ١/ ١٤٣: ١٤٦.

(١٦) يُنظَر: موساوي، مفهوم تحليل الخطاب عند زيليغ هاريس، ١٠٥، ١٠٦.

(١٧) يُنظَر: بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ١٩، ٢٠.

(١٨) يُنظَر: إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النّص، ١٩٢.

(١٩) يُنظَر: روبرت دي بو جراند، ٦٦.

(٢٠) يُنظَر: البطاشي، الترابط النّصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ٤٤، ٤٥، ويُنظَر:

بلحوت، الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Cohesion in English) ل م. أ. ك هاليداي ورقية حسن.

(٢١) يُنظَر: خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ١١، ١٢.

(٢٢) يُنظَر: فان دايك، النّص والسّياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ١٩: ٢٣.

(٢٣) يُنظَر: فان دايك، علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات، ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢٤) يُنظَر: فان دايك، (النّص والسّياق)، ١٨.

(٢٥) يُنظَر: بحيري، ٢١٨.

(٢٦) يُنظَر: روبرت دي بوجراند، ولفغانغ دريسلر، مدخل إلى علم لغة النّص، ١١، ١٢، ويُنظَر: النص والخطاب_١٠٤، ١٠٥.

(٢٧) يُنظَر: براون، ويول، تحليل الخطاب، ٣٥، ٢٢٨، ٢٦٧.

(٢٨) يُنظَر: محمد مفتاح، التلقّي والتأويل، ١٥٧: ١٦١.

(٢٩) يُنظَر: محمد عوينان، المناسبة وأثرها في انسجام النّص القرآني، ١٥، ويُنظَر: مفتاح، دينامية النّص تنظيرا وإنجازا، ٢٠٧.

(٣٠) يُنظَر: بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، ٤٠.

(٣١) يُنظَر: خطابي، ٩٥.

(٣٢) يُنظَر: المرجع السابق، ١٣، ٢٧.

(٣٣) يُنظَر: المرجع السابق، ٥، ١١، ٢٨.

(٣٤) يُنظَر: عبد السلام حامد، نحو النص عند سعد مصلوح، ٥٣٠.

(٣٥) يُنظَر: مصلوح، العربية: من نحو "الجملة" إلى نحو "النص"، ٤٠٦، ٤٠٧.

(٣٦) يُنظَر: المرجع السابق، ٤١٦.

(٣٧) يُنظَر: المرجع السابق نفسه.

(٣٨) يُنظَر: بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ٩٤.

(٣٩) يُنظَر: بحيري، علم لغة النّص، ١٠، ١١، ١٢.

(٤٠) يُنظَر: الزركشي، ١/ ٣٥.

(٤١) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ٥٨.

(٤٢) يُنظَر: الزركشي، ١/ ٣٥، ٣٦.

(٤٣) يُنظَر: عوينان، ٣٥.

(٤٤) يُنظَر: خطابي، ١٨٩، ١٩٠.

(٤٥) يُنظَر: ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، ٢/ ١٤٥، ١٤٩، ١٥٠.

(٤٦) يُنظَر: الزركشي، ١/ ٣٥.

(٤٧) يُنظَر: مصلوح، (آجرومية النّص) مرجع سابق، ١٥٤.

(٤٨) يُنظَر: الفقي، ٢/ ٩٣.

(٤٩) يُنظَر: فيصل، ١٣.

(٥٠) يُنظَر: أبو حيّان، تفسير البحر المحيط، ٥/ ٤٢٩.

(٥١) السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، ١١٤.

(٥٢) ومن القراءات التي تجيز وصل السورتين بلا بسملة: قراءة حمزة وخلف. ينظر: القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ١/ ١٤.

(٥٣) يُنظَر: الفقي، ٢/ ١٠٠.

(٥٤) يُنظَر: السيوطي، ٦٢.

(٥٥) يُنظَر: مفتاح، دينامية النص، ٢٠٧.

(٥٦) يُنظَر: السلمي، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، ٣٤٩.

(٥٧) يُنظَر: خطابي، ١٨٧، وما بعدها.

(٥٨) يُنظَر: المرجع السابق، ١٦٩، وما بعدها.

(٥٩) يُنظَر: القرطبي، ١٣/ ٨٦.

(٦٠) يُنظَر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٣٣٨.

(٦١) يُنظَر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٤٢، ١٤٣.

المصادر والمراجع:

١- ابن أبي الإصبع، **بديع القرآن**، ت: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر.

٢- بحيري: سعيد حسن:

- **علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات**، مكتبة لبنان ناشرون، (١٩٩٧م).
- **دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة**، ط١، **القاهرة**، مكتبة الآداب، (٢٠٠٥م).

٣- براون، ويول، **تحليل الخطاب**، ت: محمد الزليطي، ومنير التريكي، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، النشر والمطابع، (١٩٩٧م).

٤- البقاعي: إبراهيم بن عمر، **نظم الدّرر في تناسب السّور**، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، (١٩٨٤م).

٥- البطاشي: خليل بن ياسر، **الترابط النّصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب**، دار جرير للنشر والتوزيع، (٢٠٠٩م).

٦- بلحوت: شريفة، **الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Cohesion in English)** ل م. أ. ك هاليداي ورقية حسن، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر. (٢٠٠٥م، ٢٠٠٦م).

٧- بوقرة: نعمان، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب**، الأردن، جدارا للكتاب العالمي، (٢٠٠٩م).

٨- الجاحظ: عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، ط٧، ت: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، (١٩٩٨م).

٩- الجرجاني: عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، ت: محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي.

١٠- حامد: عبد السلام، **نحو النص عند سعد مصلوح**، جامعة السلطان قابوس، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، (٢٠١٥م).

١١- أبو حيّان: محمد بن يوسف الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، ت: عادل أحمد وعلي معوّض، بيروت، دار الكتب العلميّة، (١٩٩٣م).

١٢- خطـابي: محمد، **لسـانيات الـنص (مـدخل إلـى انسـجام الخطـاب)**، المركـز الثقـافي للنشـر، (١٩٩١م).

١٣- خليـل: إبـراهيم محمـود، **فـي اللسـانيات ونحـو الـنّص**، ط٢، عمّـان، دار المسيرة للطباعـة والنّشر، (٢٠٠٩م).

١٤- روبرت دي بوجراند، ولفغانغ دريسلر، **مدخل إلى علم لغة النّص**، ت: إلهام أبو غزالة، علي خليل، مطبعة دار الكتاب، (١٩٩٢م).

١٥- روبـرت دي بوجرانـد، **الـنص والخطـاب والإجـراء**، ت: تمـام حسـان، القـاهرة، عـالم الكتـب، (١٩٩٨م).

١٦- الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهـان فـي علـوم القرآن**، ط٣، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار التراث، (١٩٨٤م).

١٧- السلمي: عياض، **أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله**، الرياض، دار التدمرية، ٢٠٠٥م، نسخة المكتبة الشاملة.

١٨- سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر، **كتـاب سـيبويه**، ت: عبد السلام هارون، بيروت، عالم الكتب.

١٩- السيوطي:

- **الإتقـان فـي علـوم القرآن**، ت: **شـعيب** الأرنـاؤوط، ت: مصـطفى شيخ، بيـروت، مؤسسـة الرسالة، (٢٠٠٨م).
- **تناسـق الـدرر فـي تناسـب السـور**، ت: **عبـد** القادر عطـا، بيـروت، دار الكتـب العلميـة، (١٩٨٦م).

٢٠- الفقي، صبحي إبراهيم، **علم اللغة النّصي بين النّظريّة والتطبيق**، القاهرة، دار قباء للطباعة والنّشر، (٢٠٠٠م).

٢١- ابـن طباطبـا: محمد أحمـد، **عيـار الشـعر**، ت: عبـاس عبـد السـتّار، ط٢، بيـروت، دار الكتـب العلميّة، (٢٠٠٥م).

٢٢- ابن عاشور: محمد الطاهر، تونس، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، (١٩٨٤م).

٢٣- عبد الراضي: أحمد محمد، **نحو النّص بين الأصالة والحداثة**، مكتبة الثقافة الدينية، (٢٠٠٨م).

٢٤- علوي: مولاي مروان، **قراءة في كتاب دينامية النص: تنظيرا وإنجازا**، مجلة الكلمة، ع١٠١، (٢٠١٥م).

٢٥- عوينان محمد، **المناسبة وأثرها في انسجام النّص القرآني**، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة مولاي الطّاهر، (٢٠١٥م).

٢٦- **فان دايك:**

- **النّص والسّياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**، ت: عبد القادر قنيني، المغرب، دار أفريقيا **الشرق**، (٢٠٠٠م).
- **علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات**، ت: سعيد حسن بحيري، القاهرة، دار القاهرة للكتاب، (٢٠٠١م).

٢٧- فيصل: محمد، **التماسك النّصي وعلاقته بالنّص القرآني** (دراسة نظرية في ضوء التراث النقدي والبلاغي)، (٢٠١٦م).

٢٨- عبد الفتاح القاضي، **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، من طريقي الشاطبية والدرّة**، بيروت، دار الكتاب العربي، نسخة المكتبة الشاملة، (١٩٨١م).

٢٩- القرطبي: محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، (٢٠٠٦م).

٣٠- ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، ت: محمد حسين، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٩هـ)، (نسخة المكتبة الشاملة، ترقيم موافق للمطبوع).

٣١- مفتاح:

- **التلقّي والتأويل**، بيروت، المركز الثقافي العربي، (١٩٩٤م).

- **ديناميـة النّص تنظيرا وإنجازا**، ط٢، الدار **البيضاء**، المركز الثقافي العربي، (١٩٩٠م).

٣٢- موساوي: فريدة، **مفهوم تحليل الخطاب عند زيليغ هاريس**، الجزائر، جامعة البويرة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: ٨، ع ٤، (٢٠١٩م).

٣٣- محمد: مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، ط٣، دار القلم، دمشق، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٣٤- مصلوح: سعد:

- **العربية: من نحو "الجملة" إلى نحو "النص"**، الكتاب التذكاري لقسم اللغة العربية، جامعة الكويت، ت: عبد السلام هارون، إعداد: وديعة النجم، عبده بدوي، (١٩٩٠م).
- **نحو آجروميّة للنّصّ الشّعري (دراسة في قصيدة جاهليّة)**، مصر، مجلّة فصول، مجلد ١٠، ع ١، ٢، (١٩٩١م).

٣٥- ابن هشام: عبد الله بن يوسف، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الطلائع.